سياحة

في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين (تابع)

٦ سفرنا من باتِه الى حصن كيفا ودير المغر

غادرنا باتِه سحر الجمعة ١٦ ايلول قاصدين حصن كيفا ومررنا بقرية (كفرجوزه) وفيها نفر من النصارى الكلدان كان يتردَّد عليهم قسّ باتِه السرياني الكاثوليكي ويوزّع عليهم الاسرار. ومعظم اهلها مسلمون من المحلّيّة. ثم هبطنا بقعة فسيحة نضرة تتفجّر فيها الامواه وتسقي رياضها الجميلة الخصيبة. ثم تسنَّمنا جبلًا عالياً تالّتنا في توقّلهِ مشقّة كبيرة حتى انتهينا الى قنّةِ الشاهقة مؤملين الوصول الى حصن كيفا ولكن ساء ظنّنا لأن صاحبنا المكاري كان جاهلًا تلك الطرق. فاسترحنا هنيهة ثم اخذنا في الهبوط بين الجبال فأعيانا السير ومللناه ومع هذا كلّهِ صبَّرنا النفس على هذا العناء الملّ حتى حصلنا في قعر ذلك الجبل فألفينا فيه مزارع وحدائق تنهمر فيها المياه بشدَّة ثم عكسنا الى الشمال فلمحنا صخورًا ملساء تعلوها قلعة مبنيَّة بحجارة صغيرة تشاكل الآجرّ ثم جرينا في مسالك مستصعبة فعطف بنا الطريق الى اليمين وهبطنا بين قلعتين ملتويتين فيسَّرنا وتيامنّا ثلاثًا حتى افضى بنا السير الى الحصن فشاهدنا من الجهتين صخورًا منقوبة اتخذها اهل البلد لمثواهم وحوانيتهم وعلى تلك الصخور قلعتان شاهقتان متقابلتان قد ذهبت برونقهما وعظمتهما صروف الزمان في احداها بيوت شتى يقطنها الاهالي وفي الاخرى بيوت قلائل

جلسنا هنيهةً ريثما نستريح ثم قصدنا القلعة فقرأنا على بابها الكتابة التالية باحرف عربيَّة :

« امر بانشاء هذه العمارة المباركة العبد الفقير الى الله تعالى سليمان غازي بن محمد بن ابي بكر بن عبدالله توران شاه (١ الايوبي خلَّدهُ الله تعالى سنة . . . »

---

١) توران شاه هو اخو صلاح الدين الايوبي (١١٧٥ – ١١٩٣) م)

وكان رقم السنة المبني فيها باب القلعة ممحوًّا أو مشوهًا فلم نقوَ على قراءته . ثم اننا رقينا الى القلعة ورأينا في ناحيتها الشمالية دارًا فخيمة كانت تشغل بلاط الملك فيها رواق يُطلّ على دجلة وداخل الدار سرب يتّصل بالنهر . فسرّحنا ناظرينا في تلك المشاهد الرائعة المرعبة وخطرت على بالنا الحوادث التي جرت فيها على عهد ملوك الفرس والروم والمسلمين والاتراك والاراتقة وغيرهم في ذلك الحصن الحصين وما آل اليه من الدمار والخراب . ورأينا قاعدة كبيرة من آثار الفرس تتخلّل دجلة . قيل ان الروم باشروا انشاءها والفرس انجزوا بناءها ثم انحدرنا من القلعة الى الربض وفيه بضعة خمسين دكّاناً . ويبلغ عدد سكان الحصن نيّفاً وخمسة آلاف معظمهم مسلمون ومنهم ذماري من مذيات وماردين وقرى ديار بكر وللبروتستنت مدرسة فيها

ثم اننا خرجنا خارج البلد فرأينا منارة شاهقة لجهة الشمال فيها كتابة كوفية والى غربيها جامع كبير تصدّعت جدرانهُ وقد صِينَ بابهُ وعليه كتابة عربيّة تتناول اسماء الله الحسنى باسرها واسم السلطان سليمان غازي بن محمّد الخ كالكتابة المرقومة اعلاه . وتاريخ هذه « في ذي الحجّة سنة احدى وثمانمائة وعشرة (كذا) » اعني سنة ١٤٠٨ م وعلى الباب الصغير مرقوم اسم « عليّ بن حسين بن عزّ الدين تغمّدهم رحمته (كذا) »

وفي ناحية البلد الجنوبية منارة أخرى بحجر اصفر قلّها مهدوم . وكانت الدور فيما سلف خارج البلدة على ضفّة دجلة وفي يومنا ليس فيها بيت واحد وكان لها ثلاثة اسوار يلي احدها الآخر ورسومها باقية حتى يومنا يلحقها من كلتا الجهتين صخور منقورة بمثابة دور

واعلم ان حصن كيفا من اوثق المعاقل وامنعها ركناً واقدمها عهداً دوّخها ملوك الفرس تارة وطوراً ملوك الروم كما نوّهنا . وفي افتتاح القرن السابع سار اليها شهربراز او روميزان قائد عسكر كسرى وحصرها سنتين وفتك بالروم الذين فيها سنة ٦٠٤ (١ ثم دخلت حصن كيفا في حوزة المسلمين ثم وليها بنو مروان الكردي

١) تاريخ ابن العبري المدعى الرياني (ص ٩٣)

(سنة ٩٩٠—١٠٩٥) ولمّا زحف ابو علي ابن اخت باذ الكرديّ اليها وكانت بها امرأة باذ تزوّجها وملك الحصن وسائر الحصون التي كانت لخاله (١ ثم ان ابن دمنة قتل ابا علي بديار بكر فخلفهُ اخوه مهذّب الدولة ثم ابو نصر بن مروان وآخر من ملك بني مروان منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة (+١٠٩٥) وبعد ذلك العهد دخلت حصن كيفا في حوزة ملوك ماردين الأرتقيين. واوّل من دوّخها منهم سقمان بن ارتق جدّ اصحاب الحصن في عهد ابن الاثير (١٠: ١٠٢ و١٤٣ و١٤٨) وتوفي سقمان بالقريتين عند البليخ سنة ١١٠٣ فخلفهُ ابنهُ ابراهيم سنة ١١٠٤ — ١١٠٨ (ابن الاثير ١٠: ١٦٢ و١٦٣). وبعام ١١٠٨ صار داود بن سقمان بن ارتق ملكاً في حصن كيفا (ابن الاثير ١١: ٣٦) فخلفهُ سنة ١١٤٧ فخر الدين كرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا واكثر ديار بكر وقام بعدهُ سنة ١١٦٧ ولده محمد نور الدين (ابن الاثير ١١: ١٤٨) فغزا الخابور ونصيبين وسنجار وامتلكها (ابن الاثير ١١: ١٦٢)

ولمّا ظهر صلاح الدين الايوبي سنة ١١٧٥ سار الى حوزم تحت ماردين سنة ١١٨٣ فواجهه نور الدين الارتقيّ صاحب الحصن وذكّره بوعده لهُ لمّا كان عندهُ في الشام. فاستصحبهُ صلاح الدين الى الموصل وسنجار ثم اتى به الى آمد فملّكهُ اياها حسب وعده (٢ وسنة ١١٨٥ توفي نور الدين الارتقيّ صاحب الحصن وخلفه ابنهُ الاكبر قطب الدين سقمان. ولمّا صار صلاح الدين الى ميّافرقين وحضر عندهُ قطب الدين اقرّه على ملك ابيه (ابن الاثير ١١: ٢٣٢) وتوفي سنة ١٢٠٠ وخلفهُ ناصر الدين محمود اخوهُ (ابن الاثير ١٢: ٧٩) الذي ابتنى في سور آمد برجاً لتمكينه سنة ١٢٠٨ كما يُستفاد من الكتابتين العربيّتين اللتين اكتشفهما عام ١٩٠٧ في آمد الجنرال دي بيليه الفرنساوي (٣ وفوقهما صورة نسر ذي رأسين وهو شعار بني ارتق كما يُرى على نقودهم التي جعلنا على قسم منها في ماردين

وتوفي محمود سنة ١٢٢٢ وخلفهُ الملك المسعود (ابن الاثير ١٢: ١٨٩) فاستولى

---

١) تاريخ ابن الاثير (٩: ٣٩) وتاريخ الدول لابن العبري (ص ٣٠٢)

٢) ابن الاثير (١١: ٢٢٢)

٣) راجع المشرق (١٠: ٧١٩)

على حصن كيفا سنة ١٢٤٩ الملك المعظم ابن الملك الصالح وسكنها الى ان مات والده فانطلق الى الديار المصرية واستلم ملك ابيه (١ . ولما ظهر التتر ودوّخوا البلاد ودمّروها اقبل هولاكو سنة ١٢٥٩ الى بلاد الجزيرة واحتوى عليها الأماردين فانهُ اقرّ عليها صاحبها الملك الظفر (+ ١٢٨٥) وكان محمّد صاحب حصن كيفا اذ ذاك من قبل الأيوبيين وسار المظفّر اليه في جيش فظفر به محمّد وبقي في ملكه . وخلف محمّدًا ملوك تولوا الحصن من قبل الايوبيين حتى سليمان غازي ١٤٠٨ الذي ذكرناه آنفاً . ثم دخلت حصن كيفا بعد ذلك بقليل في حوزة السلاطين العثمانيين

وكانت حصن كيفا اسقفيّة خاضعة لمطرانية ميافرقين وكان لها اسقف نسطوري يقال لهُ سبر يشوع مطران حصن كيفا وارزون سنة ١٥٧٤ م كما يستفاد من كتاب شرطونيات يخصّ مكتبة الكلدان بماردين . بل كان سنة ١٤٨٣ مطران للناطرة اسمهُ ايليا كانت ابرشيته تمتدّ من نصيبين الى حصن كيفا على ما جاء في ميامر وَرْدا النسطوري خاصّة مكتبة الكلدان بماردين ايضاً . وسنة ١٦٢٨ كان في حصن كيفا يشوعياب النسطوري مطران سعرد وحصن كيفا كما يتضح من تاريخ الناجيل عربيّة لآحاد السنة واعيادها حسب الطقس النسطوري يخصّ المكتبة عينها

وجاء في اخبار السريان اليعاقبة ان مسعودًا أقيم بطريركاً لطور عبدين سنة ١٣٩٦ بأمر وزير حصن كيفا وانّ فيلكسين مطران حاح الذي صار بطريرك طور عبدين سنة ١٤٦٦ توفي في حصن كيفا . ولم نعثر على اسماء مطارنة او اساقفة يعاقبة أنيطت برئاستهم رعاية هذه البلدة الروحيّة . والظاهر ان الناطرة فيها كانوا اكثر واقوى من اليعاقبة حتى القرن السابع عشر .

ولم يتيسّر لنا البقاء في الحصن فقصدنا ديرًا قريباً لليعاقبة يقال لهُ دير المُخر ويسمّى دير الصليب الاوّل ايضاً موقعه الى شرقي شمالي الحصن فوق دجلة . وما كدنا نصل الى الدير حتى شاهدنا نفرًا من رجال ونساء على بابهِ يدقّون الخنطة حسب عوائد بلادنا الشرقيّة وذلك ان الخنطة بعد ان تُسلق وتجفّف يومين او ثلاثة

١) تاريخ الدول (ص ٤٥٣)

يضعونها في جرن حجر كبير او على صفاة فينهض اثنان في يد كل منهما دقاقة يتناوبان في الدق نساء او رجالاً ويصيحان باعلى صوتهما فاذا تعبا اتى غيرهما ريثما ينتهي العمل . وفي تلك الحال رأينا شاباً مبتدئاً في الرهبنة فتقدمنا اليه بان يرينا الدير ويتكرم بان نبيت ليلتنا فيه . فدخلنا فاستطلعنا طلع حالنا واستقصى علة قدومنا فصرح بانَّ لديه رسائل تأمره بتحريج الدخول على من كان مثلنا . فكتمناه امرنا متجاهلين وخضنا معهُ في حوادث سريانيَّة وأفادنا ان قد حظر عليه الراهب صاحب الدير المتغيب اذ ذاك ان يبرز لنا الكتب ولكننا بواسطة شقيقنا يوسف حصلنا على تاريخ كتاب حسَّايات في الدير هذا تعريبهُ :

« انتهى كتاب الحسَّايات سنة ١٨٦١ (١٥٥٠ م) في ٩ تشرين الثاني نُسخ لدير مار آحا وهو دير الصليب المجاور لقرية عطانية »

وفي الكنيسة ايضاً فتشت حديث نُسخ في عهد البطريرك بطرس († ١٨٩٤) وعندهم نسخة من كتاب (ﻣﻮﺯﺓ ﺣﻤﻮﻣﻞ) وهو غراماطيق سرياني للمغربان اسحق ابن جبير السرياني الكاثوليكي (١

وكنيسة الدير صغيرة حقيرة ليس فيها شيء يستحق الذكر وينطوي على عدَّة غرف يسكنها نفر من اليعاقبة . وفيه راهب واحد فقط وخارج الدير معبد حقير على اسم مار آحا . فبتنا ليلتنا فيه راقدين على عرزال فوق سطح الدير

٢ : سفرنا من دير المخر الى حاح (هخيه)

وعند ابتسام فجر السبت ١٦ ايارل غادرنا الدير وركبنا الى قرية دفنه ولمَّا وردفنه حيث كان دير للناطرة واهلها مسلمون قاطبةً وفي واديها دير مردوم رسومه مطموسة . ثم انحدرنا الى وادٍ تجري فيهِ المياه الغزيرة الصافية فاسترحنا هنيهة واخذنا في الصعود بين احراج من شجر البلوط وغيره والصخور تحيطها فيها اعشاش صنوف الطير والبلابل ورأينا قطعان بقر وغنم تتنجع الكلأ وعلى ربوة تلك الجبال قلعة شامخة تُعرف بقلعة دفنه تُطلّ على الغابات . ولمَّا انتهينا الى قلَّة ذلك الوادي رأينا قرية تعرف بدير ديل (ﺑﻴﺖ ﻭﺍﻣﻞ) واهلها من المسلمين المحلميَّة

---

١) راجع المشرق (١١ : ٢٩١)

... ينابيع الصفا والحدائق الغنّاء وفوقها قلعة صغيرة مبنيّة بالحجارة . وتعهّدنا فيها ديراً مقوّضاً هو دير عطافية باسم سمعان الشيخ الخدرنا الى عمّه فلم نعثر على كتابة فيه . وفي جوار الدير آثار دور ورسوم ابنية دائرة (١

ثم سرنا من دير ديل الى قرية بنكلبه وبالقرب منها قرية فافش يثوبها قوم من الحلميّة ايضاً اراضيها خصبة . وتفقّدنا فيها اطلال دير كان يُعرف بدير مار دمط . ورأينا في بنكلبه مصلّى حقيراً يُعرف بمصلّى شمعون الهوزي (...) ويثويها بضع عشر عائلات يعقوبيّة يقصدهم احياناً راهب من دير المغر المذكور يوزّع عليهم الاسرار ويتقاضى منهم العشور او البواكير . ولمّا رأونا اقبلوا للسلام علينا ومعهم فاكهة لنباركها والحّوا علينا في البقاء لديهم تلك الليلة فشكرنا لهم حناوتهم ومحبّتهم واستخبرناهم عن حالهم فصرّحوا لنا انهم متلهّفون الى وجود كاهن لديهم فتوجعنا على سوء حالتهم الروحيّة وودّعناهم شاكرين

ثم استأنفنا المسير في جبال حالة وفلوات وعرة ومررنا بتلّ يعلوه ديرٌ يسمّى دير إكفان تعذّر علينا البلوغ اليه وذلك الدير مشيّد على اسم يوحنا ولهُ تذكار في غرّة ايار يُعرف بتذكار « ... » مار يوحنا اكفانا فوق زاز (٢ فواصلنا السير حتى وصلنا الى زاز

زاز قرية قديمة يسكنها اليعاقبة وعلى تلّها دير شاهق فسيح الارجاء يُنسب لمار دمط وكنيسته على نمط كنائس طور عبدين القديمة لها ثلاثة اسواق . امّا بناؤها فمستجدّ فان تيسورلنك على ما ذكرنا في التوطئة محق عدّة من آثار طور عبدين وهدّ كنائسه وسابها حليها ومن جملتها هذه الكنيسة واذاق الاهالي آلاماً مبرّحة وكان ذلك في افتتاح القرن الخامس عشر . ولمّا اندرأ راجعاً الى بغداد عُني الاهالون ببنائها بحجارتها الاولى على نسقها القديم وجعلوا الاجرّ مكسّراً في سقفها . ولم نرَ كاهناً في زاز غير ان معلّم المدرسة احتفى بنا واطلعنا على حالة القرية وذكر لنا ما اتّصف به اهلها من

---

١) ورد ذكر هذا دير ديل في كتاب يوحنا صاحب الدوالي الذي نسخهُ سنة ١٩٨٠ (١٦٦٩ م) مسرود في دير ديل (...) دير عطانيه شرقي مدينة حصن كيفا

٢) كلندار الاب بترس (ص ١٨٢)

البغضاء والشحناء والخشونة فقال ان كلمتهم متفرّقة وقد انقسموا على حزبين يصارع احدهما الآخر وان الفتك فاشٍ بينهم والراحة مفقودة لديهم وقد تشرّب نفر منهم المبادئ البروتستانيّة . وتفقّدنا في زاز معبدًا للعذراء مريم فجزناه فاذا هو اشبه بكوخ منهُ بمعبد لا تقام فيهِ الصلاة الّا يوم عيد انتقال العذراء فقط

وشاهدنا في فناء دير مار دمط ضريحًا تاريخهُ سنة ١٨٥٦ (١٥٠٥ م) وقرقة كوّة فيها كتاب حسّايات لاعياد الصيف هذا تاريخهُ معرّباً :

نُسخ في عهد البطريرك نعمة الله الشهير والمفريان عبد النبي سنة ١٨٧٨ (١٥٦٧)

وقرأنا تاريخ كتاب حسّايات آخر نُسخ سنة ٢١٢٤ (١٨١٣م) في عهد البطريرك متى

وغربي زاز مصلّى لمار جبرائيل أطلالهُ ظاهرة حتى اليوم . وفي زاز ثمانون عائلة يعقوبية وكان نفر اعتنقوا الايمان الكاثوليكي ثم عادوا الى مذهبهم . وفي هذه الآونة انضمّ الى كنيستنا كاهنهم القس ايليا في بضع عشر عائلات

واشتهر في زاز مسعود بطريرك طور عبدين سنة ١٤٩٥ الذي أبرم الحرم على من يرسم بعده بطريركاً لطور عبدين فلم ينفذ حرمهُ كما نوّهنا في كلامنا عن مذبات .

وغربي زاز اطلال بيعة شهيرة باسم مار جبرائيل ليس فيها من الآثار شيء يذكر

ثم شخصنا من زاز الى أولمّ ورأينا رسوم دورها واطلال بلاط مَلَكي شاده فيما قيل يوحنا ملك الارمن في عهد التتر ودمّرهُ تيمورلنك وكانت في البلاط كنيسة على اسم مار زخيا (وهو القديس نقولاوس) . وسمعنا مرارًا شتى من افواه الجليين ان الملك يوحنا الارمني شيّد ورمّم كنائس كثيرة في جبلهم دمّرها تيمورلنك لمّا استعصى عليهِ الجبليّون ولم يؤدّوا لهُ الطاعة

وركبنا من أولمّ الى حاح وهي هجّه ومن مسافة بعيدة لمحنا قبّة كنيستها الفاخرة فوطئنا اليها عشيّة الاحد عند الزوال

٨ : سفرنا من حاح الى باقيان

بتنا ليلتنا في حاح وصباح الاحد ١٧ ايلول رُمنا ان نتعهّد الكنيسة واخذنا الانذهال اذ وجدنا كاهنهم غائباً فاستمرّ الاهالي دون حضور القداس . تلك

حالهم على ما قالوا اغلب الاحايين . وكان بودّنا لو يتاح لنا ان نقيم الذبيحة الالهية لكونه يوم الاحد فلم يتيسّر لنا فصمّمنا النية على الذهاب الى باقسيان حيث لنا معبد صغير جديد وجماعة حديثة . ومن ثم طفقنا نطوف القرية متعهّدين آثارها الحريّة بالاعتبار . واجل تلك المعاهد واحسنها واقدمها كنيسة والدة الله تضارع كنيسة دير الزعفران في هيئتها وشكلها وهي على شكل صليب مزدانة بالصور والمشاعر البيعيّة سوقها الاوّل معقود بالاجرّ كله ويعلو السوقَ الثاني قبّةٌ شاهقة فخيمة يليها قدس الاقداس وطول الكنيسة عشرون ذراعاً بذيف ووراء المذبح كوى منقوشة كنقش بيعة دير الزعفران ويزعم اهل باقسيان انّها مبنيّة من عهد الرسل . والانجيل الكنيسة مكتوب في عهد البطريرك شكرالله والمفريان شمعون الطور عبديني الذي صار بطريركاً وشكرالله في قيد الحياة سنة ١٦٤٠

وفي شمالي بيعة والدة الله دير مار سابا الشهيد وهو من افخر الاديرة واعظمها لا تزال جدرانهُ ماثلة وكنيسته على طرز كنائس طور عبدين الراقية الى القرن السادس وما بعدهُ . واحد اروقتها معقود بالآجرّ والباقي مهدوم برمّته والى شمالي البيعة سوق طويل يتضمّن ثمانية اروقة من كلتا الناحيتين وباب الكنيسة الى جهة الشمال . وفي السوق الثاني بابان ايضاً منهما يدخل الداخل الى الكنيسة . ويعلو المذبحَ كرّة فوقها صليب حولهُ آثار نقوش . وما عدا الباب الشمالي فللكنيسة بابان آخران غرباً وجنوباً وخارج الكنيسة الى جنوبيها مصلّى الصيف كالعادة وفي الرواق سبعة حجار قبور اقدمها مكتوب هكذا بالسطرنجيليّة : « ܗܢܐ ܩܒܪܐ ܕܡܪ ܐܒܪ ܡܪܝ ܕܡܬ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ومئة » سنة ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦م) وعلى حجر آخر « ܫܟ ܒ ܕܗܢܐ ܩܒܪܐ ܕܡܪ ܐܒܪ ܡܪܝ ܒܪ ܝܘܚܢܢ » ربان يوحنا بشابا سنة ١٥٠٤ (١١٩٣ م)

وتجاه الكنيسة الى الشرق صومعة شاهقة قد هُدّت جهتها الشرقيّة وبابها يشرف على الشرق

امّا مار سابا صاحب هذا الدير الفخيم فاشتهر في اوائل القرن الرابع للمسيح كما يستفاد من سيرة حياته ومن الكلندار الذي نشرهُ الاب بترس اليسوعي . فانهُ جاء فيه في ١٣ كانون الثاني ما تعريبهُ : « مار سابا صاحب بيعة حاح الكبرى واثني عشر الف شهيد معهُ » . وفي ١٦ آب « استشهاد مار سابا شهيد كنيسة حاح الكبرى

وعمره اثنتا عشرة سنة وثمانية اشهر . عُذّب مدّة اربعمائة وتسعين يوماً " . وفي ١٦ نيسان عيد لاثني عشر الفاً وستمائة وخمسة وثلاثين شهيداً تتلمذهم مار سابا .

وقد نشر الاب بيجان الفاضل في المجلّد الرابع من اخبار القديسين سنة ١٨٩٤ (ص ٢٢٢—٢٤٩) سيرة هذا الشهيد المعظم نقتضب منها ما يلي : ان شابور ملك الفرس ٣١٠ — ٣٨٠ سار في اواسط سني مملكته الى بازبدى وبلاد الروم وغزاها ودوّخها واقطع ابنهُ ادرفرزجرد من نصيبين الى النهر المتن (صَعْصَل) هو نهر القوريّة (؟) وابنهُ زميسف من النهر الى دجلة . فنكّل زميسف بنصارى ملكه كأبيه حتى انهُ لم يشفق على نجلهِ الوحيد سابا واسمهُ بالفارسيّة فيركوشنسف فانزل بهِ عذابات فادحة طويلة لتدينه بالنصرانيّة واذ لم يتمكّن والده من اقناعه وحملهِ على السجود لآلهة الفرس كتب الى والده شابور فاوفد شابور رسالة في قتله دون تريّث . فزُجّ سابا في السجن مرارًا وتُنكّل بهِ مدّة اربعمائة وتسعين يوماً وكان الله يعضده . واخيرًا هجم عليه كوباي قائد عسكر ابيهِ وصفع راسهُ بالسيف خمس دفعات فلم يقوَ عليه فشجّهُ سابا البطل فتقدّم كوباي وطعنهُ في جنبه وقتله والقوا جثمانهُ في الهوّة حيث كانت زُجّت جثث الشهداء الذين سبقوه . وتمّ ذلك في ١٦ آب وكان عمرهُ ١٢ سنة وثمانية شهور . ثم ان تاذق وايتالاها غيّبا جسده وجعلاه في صندوق ذهب وُضع في دار تاذق حيث كان يصلّي المسيحيّون . وهناك دُفن ايضاً الاسقف اندراوس وانسطاس خادم سابا ورفيقه في الاستشهاد . وعلى اسم سابا بُني دير سمي دير النبع . واشتهر من حاج يزيدين بن ادورميز ولهُ عيد في ٢١ ايلول وقد نشر سيرة حياتهِ الاب بيجان (٢ : ٥٦٠) وبرنان المطران الذي استشهد في حماة ولهُ عيد في ٢٨ ايلول

وجنوبي شرقي حاح دير يقال لهُ بمذا واه صُعدا على اسم موسى الحبشي اطلالهُ ظاهرة وبالقرب منهُ كذلك ديرٌ يعرف بالدير الاحمر

وشمالي حاح دير لمار سرجيس وباخس في رواقهِ الغربي حيث المقبرة اثنا عشر حجرًا مكتوبةً بالسطرنجيليّة اقدمها راقية الى حزيران من السنة ١٥٠٠ (بتيف) الموافقة لسنة ١١٨٩ م وعلى حجر آخر تاريخ سنة ١٦٠٠ (١٢٨٩ م) وعلى باب الكنيسة الشمالي صليب تحيطهُ آية الزبور بالسطرنجيليّة : « انظروا اليهِ وتزجوا ووجوهكم لا

تخزى ٥٠ والى الجنوب باب سُدَّ بحجرين مربّعين منقوشين نقشاً لطيفاً . وداخل الكنيسة مصدّع كله

وفي منحدر حاح الى غربيها مصلّى صغير مسقوف بالحجارة يسمّى مار قشيشا

وتعهّدنا ايضاً في حاح بيعة الشهيدة شموني ولم يبق منها سوى رسم المذبح حيث الفينا هيئة الصليب المقدّس وهي مملوءة تبناً وقشاً للمواشي . قيل انها تحتوي كتابات ولكن التراب والتبن وما شاكلهما قد طمساها فتعذّرت علينا مشاهدتها

وتفقّدنا ديراً آخر للمجدليّة وكنيسة الدير ثلاثة اسواق اطلالها باقية وفيها نقوش ظريفة وتحت رواق مدخلها حجرة كبيرة منكّسة مكتوبة بالسطرنجيليّة استعصت علينا قراءتها

وشرقي جنوبي حاح قرية فيها دير حادبشاباً وقد استولى عليه الدمار والبوار

فمن ذلك كله يستنتج ما كان لحاح من الاهميّة الكبرى والمرتبة العظمى . وقد قام منها رجال افاضل غيورون وعلماء ماهرون . منهم فنحاس الحاحي الشهيد (بيجان سير القديسين ٤ : ٢٠٨ — ٢١٨) خرج من تكريت بمصر الى جبل الابيض وتتلمذ لمار اوجين في قرية جنبكي . وقتلهُ انيجا في فتك من اعمال جزيرة ابن عمر ودُفن في قرية أزيخ وشُيّد فوقهُ دير للراهبات وبيعة وسمّي دير النساء على اسم فنحاس بهمّة آحا رئيس دير الزرنوق بطور عبدين . ولفنحاس الشهيد عيد في ٢٨ نيسان

ومنهم آباي الحاحي رئيس دير قرتمين ولهُ عيد في ١٨ تشرين الثاني . ومنهم مار قشيش صاحب المصلّى الذي ذكرناه في حاح ولهُ تذكار في ١٥ ايلول . ومنهم يزدين بن ادورميز (مهريار : بيجان ٢ : ٥٦٠) الحاحي وكان انتقالهُ في ٢١ ايلول في عهد يزدجرد ملك الفرس ومارونا مطران ميافرقين سنة ٤٠٠ م . ومنهم الاسقف يونان الحاحي الذي استُشهد في مدينة حماة في ٢٨ ايلول . ومنهم مار عامي محمد محمّد الحاحي اسقف طور عبدين الذي نال اكليل الشهادة في مدينة طانازين ولهُ تذكار في ٣٠ ايلول

وجلس في حاح جملة من الاساقفة منهم فيلكسين الذي صار بطريرك طور عبدين سنة ١١٦٦ واشتهر ايضاً من حاح في افتتاح القرن الرابع عشر الربّان صليبا صاحب كلبدار الاعياد السريّة الذي نشرهُ الاب يتوب اليسوعي

وسع يسكنها اليعاقبة ويناهز عددهم مائة بيت وقد ارتدَّ نفر منهم الى الايمان الكاثوليكي ثم عادوا الى مذهبهم

ولمَّا اشبعنا النظر من آثار حاج الحريَّة بالتجلة والاعتبار قصدنا باقسيان وهي شمالي شرقي حاح لنقيم القدَّاس الالهي في معبدها الحديث فوصلنا اليها ضحوة الاحد

٩ : من باقسيان الى باعربايا

ما كدنا نبرح قرية باقسيان حتى خفَّ لاستقبالنا القس ايليا وجماعتنا الحديثة وهم يبلغون ثلاثين عائلة واحتفوا بنا . فقصدنا البيعة توًّا واقمنا الذبيحة الالهيَّة ثم خرجنا الى دار القسّ ايليا وسُرِرنا جدًّا بمشاهدة ابناء طائفتنا وحرّضناهم على اللبوث في الايمان الكاثوليكي المقدَّس . وكان انضمامهم الينا سنة ١٩٠٨ بغيرة القسّ حبيب قراكلّه الافرامي

وباقسيان هذه تعرف بقرية قُسطان (هَّصكي) تشمل اليوم ثمانين بيتاً وموقعها في وادٍ منخفض تحيطهُ تلال ورواب فيها الكروم واشجار البلّوط وما شاكلها

واشتهر منها المطران جبرائيل رئيس دير العمر († ٦٦٨) وايليا الشهيد في غرَّة شباط . وقرأنا في فنقيث اليعاقبة التاريخ التالي تعريبهُ :

« انتهى في ايَّام البطريرك متى وبطريركي طور عبدين آحا واشيا ومطران دير الصليب يوسف سنة ٢١١٦ (١٨٠٥م) نسخهُ القس ملكا ابن القس عبديه من قسطان وهي باقسيانه لبيعة مار ايليا باقسيان »

وبيعة اليعاقبة مشيّدة على اسم ايليا الشهيد وعيده في غرَّة شباط كما نوَّهنا وليس فيها شيء من الآثار التي تُذكر

وعصر النهار سرنا الى دير الصليب وهو دير كبير قديم اشبه بفندق منهُ بدير يشويه نيّف وعشرون عائلة من اليعاقبة رجال ونساء صغار وكبار . ولم نشاهد فيهِ سوى قسّ واحد . وهذه العائلات باسرها تشتغل في اراضي الدير وتقتات من ايرادها . والقرية التي تحت الدير دائرة مطوسة باسرها

وطالعنا فنقيث الدير المنسوخ سنة ٢٢١٣ (١٩٠٢ م) فقرأنا فيهِ انهُ كُتب لدير الصليب ومار آحا ومار حوارا الذي لُقّب عليهِ اسم دير ديل » (والله اعلم وهذا واسلا حكمهما)

وخارج الدير معبد على اسم مار آحا فوق بابهِ حجر تاريخهُ سنة ١٣٢٥ لليونان (١٠١٤ م) وفيهِ مصلّى لبرصوما اليعقوبيّ

وصعدنا سطح الكنيسة فأشرفنا منهُ على قريتَيْ باعربايا وكربوران امّا كربوران فمن اخصب قرى طور عبدين حولها سهل متّسع وبطائح غضّة نضيرة فيها مياه غزيرة تتألف من نحو ثلاثمائة وخمسين عائلة معظمهم يعاقبة لهم مطران والباقي سريان كاثوليك وارمن غريغوريون وبروتستنت ومسلمون. ولنا فيها بيعة سعى بانشائها السيّد يعقوب متى احمر دقنه على اسم ابينا مار افرام وجدّدها عام ١٩٠٧ احد الرهبان الافراميين القس حبيب قراكلّه الغيور طولها عشرون ذراعاً في عرض تسع اذرع حافلة بالزينة البيعيّة . وفي كربوران بيعة قديمة لليعاقبة تُنسب لمار قرياقس سوقها الواحد معقود بالاجرّ وليس فيها آثار اخرى تستحقّ الذكر

امّا باعربايا ففيها اليوم كنيستان قديمتا العهد احداهما كنيسة مار استفانس والاخرى كنيسة سابا يوليانا الرهاويّ فيها بضع ثلاثين عائلةً من اليعاقبة وفيها المياه الغزيرة الجارية والرياض الجميلة واهلها عائشون في السعة

وقد ذكرنا في المقدّمة ان طور عبدين كان يُسمّى باعربايا باسم هذه القرية وتسمّى القرى المجاورة لكربوران باسماء عربيّة حتى يومنا . وهي تخوم طور عبدين حيث يفصل بينها وبين قضاء جزيرة ابن عمر نهر التوريّة الذي سُمّي النهر المتن لثقل طعمه وسرّ مذاقهِ

وورد في المقدّمة على سيرة سابا الشهيد التي المعنا اليها في كلامنا عن حاح ما تعريبهُ :

« ان باعربايا تمتدُّ من نصيبين الى دجلة وكان الروم تارةً وطوراً الفرس يدوّخونها . ثم خصّت باعربايا ببلاد ما بين النهرين وارزن وبازبدى . استوطنها قوم من بلاد المدائن وما جاورها جاء بهم يوقيانس قائد جيوش يوليانس الجاحد . وبعد هذا جُعلت نصيبين حدوداً فاصلةً للمملكتين الرومية والفرسيّة فغدت باعربايا في حوزة الفرس فهجرها نفر غير يسير من النصارى للضيم والعذاب الذي نالوه منهم . على ان شابور اعتنى بعمارتها واسكانها واقام لها عاملَين وهما زميف وادوفرزجرد وقمت حصّة هذا من نصيبين الى النهر المتن وحصّة ذاك من نصيبين الى دجلة . وسار شابور الى المدائن عاصمته (١

(١) يحيان سير القدّيسين (٤ : ٢٢٣ — ٢٢٤)

وقد استوفينا في المقدّمة الشرح عن باعربايا واطلاق اسم طور عبدين عليها اليوم وفي ذلك كفاية

· ثم اننا عدنا الى باقسيان وقضينا ليلتنا في دار القس ايليا

١٠ً من هشتركه الى دير قرتين او دير السر

وسحر الاثنين ١٨ ايلول غادرنا باقسيان الى قرية هشتركه وفيها دير مار اداي الرسول ينعق فيه اليوم غراب الخراب. واطلال كنيسته تحاكي كنائس طور عبدين القديمة . اماَّ مصلّى الصيف ففيه رواق رُقمت حجارته كلّها بالسطرنجيلية تدلّ على انهُ ثمَّ كانت مقبرة رهبان ذلك الدير . وقد كتبنا اغلبها بتعب غير يسير اليك نصُّها حرفيًا حسب قدم عهدها

+ « ܘܢܦܩ ܡܢ ܥܠܡܐ ܗܢܐ ܓܒܪܐܝܠ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܪܟ » انتقل من هذا العالم جبرائيل سنة ١٢٢٠ (٩٠٩ م)

+ « ܒܫܢܬ ܐܠܦܐ ܘܫ̈ ܕܝܘܢܝܐ ܒܪ ܐܠܝܐ ܡܫܡܫܢܐ » توفي القس ايليا سنة ١٣٠٠ (٩٨٩ م)

+ « ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫ̈ܙ ܒܪ ܐܒܪܗܡ ܡܫܡܫܢܐ » توفي القس ابرهيم سنة ١٣٠٧ (٩٩٦ م)

+ « ܘܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫ̈ܠ ܕܝܘܢܝܐ ܒܪ ܣܘܝܪܐ » سنة ١٣٣ (١٠١٩ م) مات ساويرا

+ « ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫ̈ܠ ܕܝܘܢܝܐ ܒܪ ܐܒܪܗܡ » سنة ١٣٣٠ (١٠١٩ م) مات ابرهيم

+ « ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫ̈ܠܘ ܕܝܘܢܝܐ ܒܪ . . . » سنة ١٣٣٦ (١٠٤٥ م) توفي . . .

+ « ܘܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫ̈ܣ ܒܪ ܫܡܘܐܝܠ ܡܫܡܫܢܐ . ܒܨܠܘܬܗ ܕܐܠܗܐ ܘܕܩܕ̈ܝܫܐ ܫܠܝܚܘܗܝ ܒܥܘܒܐ ܕܐܒܪܗܡ . . ܟܬܒ ܕܘܝܕ ܘܐܝܘܢܝܣ ܒܥܘ ܨܠܘܬܐ » سنة ١٣٦٠ (١٠٤٩ م) مات القس شموئيل بشفاعة والدته تعالى والقدّيسين رسله في احضان ابرهيم . . كتب ذلك داود وايونيس يرجوان الصلاة

✠ « ... سنة ١٣٨٠ (١٠٦٩ م) انتقل من هذا العالم الكرب الى الحيوة الجديدة جبرائيل القس ورئيس الدير

✠ « ... سنة ١٤٧٠ (١١٥٩ م) ...

✠ « ... غادر هذا العالم وانتقل الى مولاه الربّان يشوع سنة ١٥٤٥ (١٢٣٤ م)

وقرأنا حجرًا على باب البيعة : « ... برح هذا العالم القس صليبا وانتقل الى ربه . كل من قرأ فليصلِّ (لاجلهُ) حبًّا بربنا

هذا كلُّهُ دليل ساطع على ان ذلك الدير العظيم كان زاهرًا في القرن العاشر الى القرن الثالث عشر . وقد هدّ اركانهُ وقوّضها تيمورلنك في جملة ما اخرب من اديرة الطور وكنائسه . ويسكن قرية هشتركه المسلمون وبضع عشر عائلات يعقوبية ليس عندهم قسّ يدبّر شؤونهم الروحيَّة . وفي ظننا ان اسم هشتركه مستحدث واسم القرية القديمة مجهول

ولمّا تعالى النهار واصلنا السير الى قرية كفرزه ومررنا بصومعة شاهقة في شرقيها منقورة في الصخر . وعند مدخل القرية معبد صغير مزبَّع مشيَّد بحجارة ضخمة على اسم العذراء مريم كان متعبّدًا فيه راهب حبيس في ما سلف

ثم تعهدنا كنيسة كفرزه الكبرى وهي على اسم مار عزرائيل السيناطي الشهيد في عهد مكسيانس قيصر الذي استحضرهُ الى رومية وانزل بهِ ضروب العذابات . وقد ابرد اسمهُ ابن العبري في تاريخه البيعي في حبريَّة طورانس الانطاكي (٢٩٨ — ٣٠٩) ولعزرائيل صومعة ايضاً فوق دير الزعفران شرقيّ ماردين . ولهُ عيد في ١٢ ايّار (١) . وقد ورد ايضاً في كلندار الاب بترس في ٢٩ كانون الثاني ذكر لساويرا

(١) راجع كلندارًا مكتوبًا في آخر كتاب نوافير منسوخ سنة ١٥٧٩ م في دير الزعفران خائنة مكتبة دير الشرفة بلبنان . وقد طُبعت ترجمة عزرائيل الشهيد في باريس سنة ١٩٠٢

الكفرزي رئيس دير قرتمين وعصره مجهول

واعلم ان كنيسة مار عززائيل في كفرزه تمتاز عن سائر كنائس طور عبدين بالبيم (المنبر) المبنيّ في صحنها وهو عبارة عن حجر كبير مستدير يسنده اربع سوار يُرقى اليهِ بتسع درجات من ناحية المشرق

وفي قرية حباب بطور عبدين عند دير مار ملكا القازميّ بيعة تحاكي بيعة كفرزه فيها البيم حتى يومنا . وكان من عادة السريان ابتناء مثل ذلك في كنائسهم لالقاء المواعظ وقراءة الانجيل ولاسيَّما في الحفلات البيعيّة والطقوس كطقس الميرون والرسامات وغيرها

وقرأنا في انجيل كنيسة مار عززائيل التاريخ التالي معرَّباً :

« سنة ٢١٦٦ (١٨٥٥ م) بسعاية المطران شمعون الكفرزيّ ثنّ علينا الدارة امراء البهتان (قوم من الاسلام المحليَّة) بزدين بئر ومسّود بك وضبوا بلادنا واخربوا بيعنا . وقتلوا اربعة قسّان ورهبانًا وجملةً من المسيحيين . وفي تلك السنة قساتلهم الملك قرقي وقتل بالف وخمسمائة نفر منهم والقى القبض على مَلِكَيهم وباقيها الى العاصمة مكبَّلين بالقيود . وبعد هذا عدنا الى بلادنا بفرح وشدَّنا كنائسنا وجمنا كتبنا وجدَّدناها »

ورأينا في ايوان المصلَّى الصيفي كتابة اسطرنجيليَّة هذا نصُّها :

ܟܢܝܫܬܐ ܕܝܠܢ (؟) ܕܥܠ ܫܡ ܡܪܝ ܐܝܠܝܐ ܕܟܬܝܒ ܒܗ ܐܝܠܝܐ ܕܝܠܢ ܕܐܬܒܢܝ ܒܫܢܬ ... ܕܐܬܚܕܬ ܒܝܥܬܐ ܗܕܐ ܒܫܢܬ ١٢٤٦ (١٩٣٥ م) في عهد استفنا المطران آما

وفي منحدر كفرزه معبد مربع منسوب لمار ابراهيم الفينا فيهِ حجرًا مكتوباً بالسطرنجيليَّة قرأنا فيهِ كلمة ܐܒܪܗܡ ابرهيم فقط وتعذَّرت علينا قراءة الباقي

ثم سرنا الى محلّ يسمونهُ معبد مار برجس تشويهِ احدى العائلات اليعقوبيَّة دخلنا اليهِ ضمن ثلاث دور حتى انتهينا اليهِ فلم نرَ شيئاً سوى ظامة مدلهمَّة . وشاهدنا مذبحًا غيره باسم يوحنا تحيطهُ صورة حيَّتين تعلوها هيئة شمس وقمر والى جانب ذلك المعبد رواق فيهِ حجار مرقومة بالسطرنجيليَّة قد أثرت فيها الامطار تأثيرًا بليغًا .

وفي بقعة كفرزه رسوم بيعة لمار ايليا لم يبقَ منها سوى جدار واحد . وفي كفرزه من اليعاقبة مائة وخمسون عائلة وكاهنان . ومن المسلمين مائة عائلة

واشتهر من كفرزه ساويرا رئيس دير قرتين هامه هذا صهاده ومصبه هذا ومصبه هذا صهاده وله تذكار في ٢١ كانون الثاني

وغادرنا كفرزه الى قرية دبّانه (وُحْدَل) وهي في وادٍ عميق واهلها مسلمون باجمعهم وداخلها آثار دور شتى وصخور منقورة . ثم اخذنا في المسير الى دير العمر او دير قرتين فبتنا فيه ليلتنا (الختام للآتي)

النصرانية بين قدماء الاتراك والمغول

بحث تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

غنيٌّ عن البيان انَّ الاتراك في عهدنا يدينون بالاسلام الّا بعض قبائلهم البادية في اطراف تركستان وفي جهات تبّت وحدود الصين التي يغلب عليها دين البوذيين

على انَّ النصرانيَّة لم تحجب عنهم انوارهـا في الاجيال السالفة بل اضاءت كثيرين منهم بنورها ولنا على ذلك ادلّة عديدة جمعناها من اصدق الموارد الشرقيَّة والغربيَّة كما سترى . وقد جاءت تترى الاكتشافات الحديثة في تركستان مؤيدةً لهذا الواقع التاريخي الذي لم يَعُد يمكن انكارهُ . ولا نشكّ في انَّ قرّاءنا يسرُّون لاثباتنا هذه الحقيقة

*

تُركستان اي مواطن الاتراك الاصليَّة وتُعرف غالباً بتوران وما وراء النهر بلاد واسعة ومفاوز حقّة تمتدّ بين بحر الخزر المعروف ببحر قزوين غرباً وتخوم الصين شرقاً وتحدُّها شمالاً روسيَّة التي تحكم اليوم على قسم منها وجنوباً ممالك الهند وايران فتنيف مساحتها على خمسة ملايين كيلومتر مربع وتضاهي وحدها نصف قارة اوربا غير انَّ سكّانهـا لا يتجاوزون اليوم خمسة الى ستَّة ملايين فيكون عددهم كعدد مدينة لندن فقط . والميـاه في تلك الصحاري قليلة ايضاً لا يجري فيها غير نهرين كبيرين اصلهما في مشارق جبال پامير احدهما نهر جيحون الشهير باوكسس (Oxus) الذي ينصبّ في بحر قزوين والآخر نهر (Jaraxès) سيحون الذي يقطع ناحتي